وقد روى بعض المؤرخين والكتاب تاريخ صناعة الورق بما يطابق هذه الرواية في الاساس الا انهم اختلفوا في بعض النقاط فقالوا : عرف الصينيون الورق سنة ١٠٥ الميلاد ، وبقيت صناعته سراً من اسرار الصين لا يعرفه احد من العالم .

وحوالي سنة ٧٥٠ ميلادية حدثت حرب في سمرقند بين اميرين تركيين انتهت بالتجاء احدهما الى العرب طلباً للنجدة ، وقصد الآخر بلاد الصين للغاية نفسها وانه وقعت على اثر ذلك معركة اسفرت عن فوز العرب وانهزام الصينيين وتقهقرهم ، وكان بين الاسرى من الصينيين بعض صانعي الورق الذين افشوا سر هذه المهنة الى موسريهم من العرب ، وحوالي سنة ٧٥١ ميلادية انشيء معمل للورق في مدينة سمرقند وصارت صناعته من اهمّ الصناعات آنئذ .

عن « ام القرى »

حكومتنا والصحافة العربية

يتخذ بعض الناس مقياسا لرقي الامم ورسوخ قدمها في الثقافة والعلم ذيوع صحافتها وازدهارها على ان العارف بعلائق الحكومات مع رعاياها يعلم أن هذا المقياس لامحل له من الواقع . فانا نرى لعدة شعوب من الشرق والغرب صحافة راقية رغم الامية السائدة على أكثر من تسعين في المائة من ابنائها ، ومن يتامل في الاحوال يجد ان تلك الصحافة الراقية بمظاهرها ومضامينها تصدر في الحقيقة عن افكار نخبة قليلة جدا تقوم بتهذيب الامة والاخذ بيدها في مضمار الحياة وسبل الرقي من غير ماتايد من الامة او مساعدة عملية من قبلها وانها تبرز من النسخ عدداً لا يكفي مبلغ بيعه حتى لاجرة الطباعة وان اضفت اليه دخل الاعلانات على ان الاشهار تابع لانتشار القراءة كثرة وقلة ، وهنا يقف الانسان حيران يتساءل عم تعيش به الصحف وكيف تقوم بمهمتها وليس لها مال من قرائها تعتمد عليه .

تعيش الصحف على حساب صناديق تمدها بما تحتاج اليه فان كانت لسان حال حزب سياسي فهي تستمد غذاءها من صندوق الحزب الذي تمثله ، وللاحزاب باوروبا واميركا وغيرها من الاقطار المتمدنة من المال مالا يخطر بالبال . وان كانت من النشريات الكبرى شائعة ذائعة قادرة على تغيير مجرى الراي العام او ترجيح سياسة على غيرها فانك كثيراً ما تجد وراءها شركات ساهرة على شئونها اوماليين اقوياء يستخدمونها في اغراضهم ويستعملونها في مصالحهم ويؤثرون بها على الدوائر الرسمية ويستغلونها لربح الاموال ، واما النشريات التهذيبية والعلمية التي يهمها قبل كل شيء تهذيب الشعب وتثقيفه فان الحكومات هي التي تمدها بالاعانات والتسهيلات لنشرها واذاعتها ، وهاذه هي الاسباب التي نشاهد لاجلها في الشرق العربي كثيرا من الصحف التي لاتقل في شيء من مظاهرها وتراتيبها عن صحف الغرب مع انه لا يمكنها ان تعيش بنفسها من غير معونة ونشاهد مثل ذلك ايضا في كثير من امم اوربا العظيمة منها والصغيرة .

خذ اخر تقويم صدر عن المغرب الاقصى وافتح فصل الصحافة تجد ان بهاته الايالة ما يقرب من

مائة صحيفة باللغة الفرنسية ، وهذا لا يدل على ان النزالة الاوربية وصلت من الحاجة الى حد أنها تتطلب كل هاته الجرائد والمجلات ، ولا شك ان أول ما يخطر ببالك هو البحث عن اسباب حياة هذه النشريات بجيوش محرريها ومستخدميها وبعماراتها التي تعادل الواحدة منها اكبر حي من احياء المدن المغربية وبمطابعها التي لا تخلو من احدث اختراع في فن الطباعة .

نعم كيف يعيش كل هذا وليس في المغرب اكثر من مائتي الف اوربي فيهم الفرنسوي وفيهم الايطالي والاسباني وغيرهم ولا يتجاوز عدد القراء من بينهم الخمسة في المائة طبعا ولا يعقل ان يشترك الواحد منهم في الجميع ؟

أكفيك مؤنة البحث واخبرك بما تستمد منه هاته الجرائد التي يصرف بعضها في اليوم الواحد مالا يصرفه مجموع الصحافة العربية بافريقيا الشمالية كلها في الاشهر الكثيرة.

أجل هذه النشريات تستمد غذاءها من الاعلانات ومن الشركات ومن الاحزاب ، وهي ايضاً تعيش من ... جيبك رغم انفك اي من جيبك انت ومن جيبي انا ومن جيب هذا والاخر او ان شئت من بيت المال ، كل هذه الجرائد تتقاضى اموالا باهضة اعانة لها من صندوق الحكومة المغربية اي من صندوق الشعب المغربي الذي يجهل اللغة الفرنسويه وله لغته العربية علاوة على الاعلانات الرسمية التي توزعها عليها واحدة واحدة كل ادارة ومصلحة حكومية وزيادة على ما تطبعه هذه الادارات في مطابعها بأثمان برمكية وفوق هذا فان عدة مصالح وادارات تعين من ميزانيتها الخاصة هاته الجرائد وتشترك بالمئات من الاعداد ... على حسابك طبعا . ولولا ذلك لما كان للصحافة شانها الذي تعرف .

لسنا ننكر على حكومتنا فعلها هذا وان ابانت هنا عن عاطفة سخاء كان الاجدر بها أن تخفيها في عصر نشتكي فيه من الازمة أو تستعملها في ناحية أخرى اكثر احتياجا ، فان سائر الحكومات في جميع الاقطار تسير على هذه الخطة المستحسنة لنشر الثقافة وتهذيب الشعب ، وبالاخص فيما يخص المجلات ، وقد قرأت في العدد الاخير من مجلة « أبولو » المصرية وهي في سنتها الاولى ، كلمة تدعو فيها وزارة المعارف الى اعانتها مستندة في ذلك على الواجب الذي يقضي على الوزارة (بتشجيع المجلات العلمية والفنية والادبية التشجيع الكافي حتى تستطيع أن تعيش اذ لا يمكن أن تعيش من غير اعانة الى أن يقبل القراء الاقبال الكافي على هاته المجلات بدل اقبالهم على الجرائد الصفراء وصحف المهاترة البذيئة ، وللوزارة فضل سابق في احياء مجلة المقتطف والهلال وفتاة الشرق وغيرها ثم فضل لاحق في احياء مجلة المعرفة بعد ان كدنا نفقدها)، وكذلك في غير مصر من بلاد الاسلام وغيرها ، وانما ننكر على حكومتنا انها لا تعامل الصحافة العربية بمثل ما تعامل به الصحافة الفرنسوية.

فاذا كان من وظائف الحكومة تهذيب الشعب المغربي فلم نراها تقوم بكل وظائفها تقريباً احسن قيام وتقصر بكثير في هذا ؟

ان الشعب المغربي شعب عربي ، وكل من يتكلم بالعربية فهو عربي أو كما قال عليه السلام ، فلم لا تخاطبه بالعربية وهي أقرب الطرق لتبليغ رسالتها التهذيبية الى فكره وقلبه ؟

فلنعدل عن هذه الخطة خطة النفرة والحذر وليخاطب بعضنا بعضاً بلسان المودة والاخلاص ، والا فما دامت

الحكومة محصنة في اداراتها وما دمنا منعزلين في مدننا الا وسوء التفاهم بيننا لا يذهب.

فان حاجتنا شديدة ماسة الى حسن التفاهم والواجب على الحكومة أن تعين عليه من جهتها وتترك تلك الطرق التي كانت تظنها صالحة فأدتها الى ضد ما كانت تتمناه.

والصحافة من خير الوسائل الى التفاهم الذي نرغبه بنية خالصة واعتراف. (المغربي)

اصاب الكاتب البارع، وما ذكره عن حكومة المغرب يصدق عن حكومتي الجزائر وتونس، وافريقيا الشمالية فيها رجال لايقلون عن اكابر رجال الشرق في سائر انواع العلم والعمل، ولو مدت هذه الحكومات يد المساعدة للصحافة العربية في اقطارنا كما فعلت غيرها من الحكومات لكان لها شأن لا يقل عن شأنها في مصر وفلسطين وغيرها من البلاد الاسلامية.

اصدرنا (مجلة المغرب) واردناها ان تكون في هيأة تتفق مع المساواة التي تتطلبها مع النشريات الاوربية وتناسب تاريخ المغرب ومستقبله ان لم تناسب حاضره، وتكبدنا في ذلك مصاريف باهضة لم يتكبدها غيرنا الى الآن في الصحافة العربية حتى ظنت بعض النشريات في تونس، وهي معذورة، ان المجلة على نفقة الحكومة كما ظن بعض القراء في هذه الايالة ان باب الحرية الذي فتحته لم يكن الا لهذا السبب نفسه، ولكن شتان ما بين هذا كله وبين الواقع، وما اخفينا الواقع حتى اليوم الا خدمة للصالح العام.

فان كانت الصحافة الفرنسوية تقبض اموالا باهضة من صندوق المغرب فان (مجلة المغرب) العربية لم تطلب ولم تقبض الى الآن وهي في سنتها الثانية ولو فلسا واحداً، هذا من حيث اعانة الحكومة المركزية، واما من حيث اعانة الادارات كادارة الفلاحة وادارة الصحة وادارة الاشغال العمومية وغيرها التي تفرق في كل سنة مئات الآلاف على الجرائد قصد ارشاد قرائها في شئون الفلاحة والصحة وغيرها فقد بذل بعض اصدقائنا بمجلس الشورى الجهد في الفات النظر الى ان الاهالي كغيرهم يحتاجون الى مثل تلك الارشادات، ولكن النواب يتكلمون بالعربية، ورؤساء الادارات لا يعرفون هذه اللغة الغريبة ولا المتكلمين بها الغرباء.

واما ما يتعلق بالاشتراكات فقد طلبنا من ديوان جناب المقيم العام منشوراً يأذن فيه للادارات بالاشتراك في المجلة، وكتب الديوان المنشور الا انه غفل هو نفسه عن العمل به. ومضت مدة واخيراً تفضل علينا كل من المسيو بينازي مدير الامور الاهلية والمسيو كنطر رئيس المراقبات المدنية باشتراك ابتداءً من شهر يناير.

وهاكذا حصلت مجلة المغرب من مال (المغرب) بعد عام على ١٢٠ فرنكا لا زالت الى الان في صندوق (المغرب). وليس عندنا سوى ذلك لا من اكبر ولا من اصغر ولا اشتراك واحد.

حتى من ادارة العلوم والمعارف والمعهد العلمي وقد نشرنا ما وصل الينا من المحاضرات العربية التي القيت في مؤتمرهم بفاس قياماً (من مالنا) بما كان يجب عليهما القيام به.

ولو شاءت الحكومة ان تعين (مجلة المغرب) — لا بمثل ما تعين به الصحافة الفرنسوية — ولكن بمبلغ ما يتقاضاه اقل كويتب من آلاف المستخدمين بادارتها (والعجب بالنفس يحملنا على الاعتقاد باننا انفع للمجتمع واصلح) بل لو شاءت ان تعيننا بعشر ما تنفقه بعض ادارتها في محاربتنا بوسائل يمنعنا العقل والولاء للدولة من كشف الستار عنها الآن، فان فعلها هذا يحسبه الاهالي لها (والمسلمون اهل قناعة) غاية الغايات في البر والاحسان.

هذا وانا نوقن بان اهمالها للعربية ليس لقصد سيء اذ انها تصير على صحافتها الرسمية مثل رصيفتنا (السعادة) الغراء كثيراً من الاموال، وانما الحكومة سواء في المغرب او في الجزائر وتونس تجد نفسها بين طائفتين: طائفة الفرنسويين والاجانب وهي قوية بمالها وبحريتها الموروثة وبثقافتها ومعارفها تصيح صباح مساء وتامر ليل نهار، وطائفة الاهالي وهي ضعيفة عاجزة ساكنة ساكتة جاهلة ميتة، والحق يقضي على اولي الامر ان يكونوا بين الطرفين حكمين وان يزنوا الشئون بميزان العدل والانصاف الا ان البعض منهم يتغلب عليه الجبن ويخفت في نفسه صوت المصلحة الشخصية صوت الوطن. والحي قد يغلب الف ميت في كل زمان ومكان. (م.)